مجلة عصور الجديدة– فصلية صنف ج– المجلد 10 – العدد 2 (جوان) 1441هـ/2020م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

اللسان الناطق لسكان منطقة بلزمة "دراسة في اللهجة الشاوية"
The Balzema citizen's spoken tongue "a study about the chaoui accent"

اسم ولقب المؤلف المرسل: ممدوح بومخيلة- Boumkhila Mamdouh صص162- 176
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه وعضو في مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة
البريد الإلكتروني: boumkhila.memdouh@edu.univ-oran1.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: فتيحة سيفو- Sifou Fatiha
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة
البريد الإلكتروني: sifou-doctmmsh@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/12/25 تاريخ المراجعة: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/04/25

الملخص: خصّصنا دراستنا هذه للهجة من اللهجات المحليّة في المجتمع الجزائري، وهي اللهجة الشاوية المتكلم بها في منطقة الأوراس لمعرفة أصل هذه اللهجة، وعلاقتها بالمجتمع الأوراسي عامة وسكان منطقة بلزمة خاصة كنموذج على ذلك، خصوصاً أنّها تمثل موضوعا إثنوغرافيا بالدرجة الأولى، حيث تناولناها في ورقة بحثيّة تناولاً أكاديميا يُبعدها عن أي التباس سياسي أو إيديولوجي قد يزيدها تعقيداً حتى يتسنى للمطّلع والقارئ من أخذ صورة عامة حول اللهجة الشاوية بكل تبايناتها وتداخلاتها ومكانتها في مجتمع بلزمة؛ فمن الواجب علينا كباحثين جزائريين ألّا نترك كتابة تاريخنا لغيرنا، بخاصة بعد الاطّلاع على بعض الدراسات السابقة حول الموضوع، والتي لم تكن تلتزم بالموضوعية سواء عن قصد مثل المستشرقين لتمرير مشروعهم أو دون قصد لعدم معرفتهم الكافية لخصوصيات اللهجات المحلية داخل المجتمع الجزائري، ولهذا فلا بُدّ أن نعوض ما فاتنا من تجاهل لتاريخنا بنفض الغبار عنه، وعدم ترك الفرصة للآخرين للحكم علينا، بخاصة أنّ الدراسات حول اللهجات المحلية في المجتمع الجزائري قليلة أو تكاد تنعدم، رغم أنّ هذه اللهجات عرفت انتشارا ملحوظا في مختلف مناطق الوطن، ولعلّ تجاهل الباحثين الجزائريين لهذا الموضوع وقلة الإشارة إليه هو غير متعمد، ولا

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

يقصد به التقليل من قيمتها، لذا ينبغي علينا نحن الباحثون الشباب تولى مسؤولية التدوين، وملء الفراغات التي تركها الباحثون الذين سبقونا في ميدان التأليف.

الكلمات المفتاحية: اللهجات المحلية؛ المجتمع الجزائري؛ اللهجة الشاوية؛ المجتمع الأوراسي؛ سكان بلزمة.

Abstract: *appropriated our studies about a local accent in the algerian society which is the Chaoui accent that's spoken in Auras to know the origin of this accent and it's relation with Auras socity in general and the citizens of Belzema as a model in special, espicially it represent an ethnographic subeject in the ferst place, in which tackeleg it in research paper accdemically that excluded from any political or idiological confusion that make it more complicated, so that reder and the informed to take a general picture about the Chaoui accent whith all it's differences and interferences, It's our duty as algerian researchers to leave other researchers to write our history espicially after acknowledging the previous studies about the subject that wasn't subjective, whether on purpose like the orientalists to passing thier projects or accidentally to ther lack of awarness to the privacy of the Algerian accent in the Algerian society that is why we have to make it up what we missed from the ignorance to uour history by dusting off and not let the others judjing us in particular, the studies about local dialects in Algerian society are a few and almost nonexistent, Although it has known a noticeable spread in different regions of the country; Perhaps Algerian researchers' disregard of this subject and lack of reference to it is unintentional, It is not intended to devalue those dialects, As new researchers in the field, we should take responsibility for codification, And fill in the blanks left by the researchers who preceded us in the writing.*

***Keywords*:** *local accent; Algerian society; Chaoui accent; Aurasis society; Balzema citizens.*

مقدمة: يتميز المجال اللغوي في الجزائر بتعدده وتداخله، حيث تتفاعل ضمنه عدة لهجات متنوعة منها القبائلية والمزابية والتارقية والشلحية والشاوية...، ويتجلى ذلك من خلال ممارسة السكان لهذه اللهجات المتنوعة خلال فترة حياتهم اليومية سواء كانوا أفرادا أو جماعات، ولكن بوجود اختلافات من حيث كيفية النطق بها.

إنّ اللهجات المحلية المنتشرة في المجتمع الجزائري هي مسألة تخص كل المجتمع الجزائري بمختلف أطيافه وتوجهاته، لذلك وجب الحفاظ على هذا التراث الذي يعد إرثا لغويا منتشرا في عدة مناطق من الوطن، من بينها منطقة بلزمة الشاوية في الأوراس، والتي تعتبر أنموذجا حيا، وعليه فإنّ للهجة الشاوية دور بارز وفعّال في حياة مجتمع بلزمة، إذ كانت ولازالت هذه اللهجة تؤدي وظيفة اتصالية خاصة، وهذا ما حفزنا للبحث

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

والتقصي في هذا الموضوع، وسعيا منا لتناول واقع اللهجة الشاوية في المجتمع الأوراسي عامة وسكان منطقة بلزمة خاصة.

الإشكالية: لا يزال العديد من المؤرخين والباحثين يطرحون عدة تساؤلات حول لهجات المجتمع الجزائري الموزعة على القطر، إذ نجد من بينها اللهجة الشاوية المنتشرة في مناطق من الأوراس مثل منطقة بلزمة، حيث أصبحت هذه التساؤلات تشكل اليوم مادة ثرية تستدعي البحث في غياب دراسات جادة تهدف إلى إبراز الحقيقة التاريخية؛ فمتى ظهرت هذه اللهجة؟ ومن أين جاءت أصولها؟ وما علاقتها بمنطقة بلزمة؟ ومن هم سكان هذه المنطقة؟ وكيف أصبحت هذه اللهجة تمثل واقعا معاشا في المجتمع بلزمة؟ وما هي العوامل التي كانت وراء استمراريتها داخل هذا المجتمع؟

وسعيا منا للإجابة على إشكالية الموضوع ارتأينا الاعتماد على العناصر الآتية: قراءة في تاريخ اللهجة الشاوية- علاقة سكان منطقة بلزمة باللهجة الشاوية- واقع اللهجة الشاوية في المجتمع الأوراسي.

أهداف الدراسة: يمكننا تحديد أهداف دراستنا هذه في النقاط التالية: محاولة ملء الفراغ الذي تركته الدراسات الأكاديمية حول اللهجات المحلية في الجزائر- إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية بدراسة جديدة تتناول لهجة من لهجات المجتمع الجزائري- إزالة العديد من الاستفهامات التي كانت تقابل الكثير من الباحثين والقرّاء حول خصوصيات اللهجة الشاوية.

منهج الدراسة: اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي الذي وظفناه في سرد الأحداث ووصفها لكون أن موضوع الدراسة يتطلب ذلك، وإلى جانبه المنهج التحليلي الذي ساعدنا في تحليل المادة الخبرية وتفسيرها.

1- قراءة في تاريخ اللهجة الشاوية:

1.1- ماهية اللهجة: تعتبر اللهجة شكلا من أشكال التواصل الاجتماعي الإنساني أي أنّها وسيلة كفيلة بتحقيق تواصل الأفراد والمجتمعات، وهذا ليس من باب الصدفة؛ فالواقع المعيشي اليوم كفيل بإثبات وجود لهجات على مستويات كثيرة ومتعددة وفي كل البلدان دون استثناء مع بعض الاختلافات في النسبة الممارسة لكل لهجة من اللهجات.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

اللهجة أداة مقصودة على مجموعة متكلمة، هذه المجموعة عادة ما تكون متميزة بخصائص نفسية واجتماعية معينة يصعب على الآخرين اختراقها، وهو ما يجعل ألفاظها وكلماتها منطوقة لا تزيد إلا بعدا عن اللغة الرسمية أي لغة الدولة، وهذا ما يبين أن احتكاك هذه اللهجات مع اللغات الرسمية ولمدة طويلة يجعلها أكثر عرضة للانقراض[1].

يتضح لنا أن اللهجة ما هي إلا مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفة جميع أفراد هذه البيئة[2].

إنّ ما يمكن أن نخرج به أن اللهجة هي رموز ذات معنى ودلالة ترتبط بنطاق جغرافي معين أو طبقات اجتماعية مختلفة، وهي مجموعة من صفات لغوية تنتمي إلى بيئة خاصة يشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.[3]

يبدو لنا من خلال ما سبق أن اللهجة مصطلح حديث في الدراسات اللغوية رغم أنّها ظاهرة لغوية معروفة منذ القديم؛ فقد أدرك قدماء اللغويين العرب الفروق الدقيقة بين اللغات القديمة المختلفة، وأشاروا في عدة مؤلفات إليها، مثلما فعل ابن خلدون عندما تحدث عن فساد الكلمة وعن لغات فاسدة.[4]

لكن إشاراتهم هذه لم تكن مؤسسة علي رؤية علمية تهدف إلي تنميط هذه الظواهر والاهتمام بها، وجعلها محورا من محاور الدراسات اللغوية، وهو الأمر الذي أخّر ظهور علم اللهجات عند العرب إلى أواخر القرن التاسع عشر في الوقت الذي قطعت فيه الدراسات اللهجية عند الغرب شوطا كبيرا بعدما مرّت بعدة مراحل متطورة، والتي توصلت إلى الاعتراف بها كواقع لغوي لا يمكن إزالته ومحوه أو التغاضي عنه.[5]

1. 2- أصل تسمية الشاوية: يعود ظهور هذه التسمية إلى حوالي منتصف القرن الخامس عشر، أي ما بين وفاة ابن خلدون 1406م وغزوات البرتغاليين الأولى، ولم تستعمل إلا بعد زمن من قدوم بني مرين، حيث لا نجدها في مؤلفات العرب الذين كتبوا عن تاريخ البربر[6].

لقد كان مارمول (Marmol) أول من استعمل تسمية الشاوية حيث ذكرها للإشارة إلي زناتة وهوارة التي إطلاق عليهما اسم الشاوية[7]، أما عند المؤرخين العرب فإننا لا نجد هذه الكلمة إلا عند القليل منهم مثل ابن خلدون الذي ذكرها في مقدمة كتابه بقوله: **"ومن السكان البربر كان معاشهم على الغنم والبقر يسمون الشاوية"**[8]، كما ذكرت

عدة دراسات أن مدلول هذه الكلمة ترجع للهجات الأمازيغية[9]؛ فالشاوية كلمة تطلق على رعاة الغنم لشهرتهم بتربية الغنم والبقر، ويسكن معظمهم في الجزائر، وبضبط في مناطق الأوراس[10].

في الواقع إن مدلولها لم يكتمل بعد رغم أن ظهورها يعود إلي منتصف القرن الخامس عشر، ثم تطور بعد ذلك إلى أن صار استعمالها مقتصر على قبيلتي زناتة وهوارة المنتشرتين في منطقة الأوراس والأطلس الكبير[11].

تنتسب الشاوية إلي عيشاوة المستقرين حاليا بين بني محمد عند سفوح إيدوغ غرب مدينة عنابة حيث تركوا إقليم الأوراس لكثرة الثورات التي عرفتها الأوراس مما أرغمهم على ترك المنطقة، وتوجهوا إلى جبل قريون الذي استقرّ فيه من غلب على أمرهم لكن معظمهم مازالوا منتشرين في مختلف مناطق الأوراس، وعليه فإن الشاوية هم السكان الأصليين الذين كانوا يسكنون بلاد الأوراس قبل الفتح الإسلامي[12].

استمدت التسمية الشاوية من الحياة الاقتصادية التي كان يعيشها كل سكان الأوراس، وأطلقوها على لهجتهم التي يتكلمون بها نظرا لشهرتهم منذ القدم بإنتاج الحبوب والصوف والجلود واللحوم؛ فقد كانوا تقريبا كلهم رعاة قبل أن يفرض عليهم الاستقرار، ولذلك سموا بالشاوية نسبة إلي ما يكسبون من الشاة، واضطروا على أثرها إلى الاعتصام بالجبال، والتخلي عن حياة التنقل شيئا فشيئا[13].

إذا نظرنا إلى تسمية الشاوية؛ فإننا نجد أن لها دلالتين: أولها أنها تطلق على الإنسان الأوراسي الذي كان يقطن بمناطق الأوراس، وثانيها أنها تطلق على اللهجة التي يتحدث بها سكان هذه المناطق، كما نلاحظ أن هناك خاصيتين في الشاوية تدلان على أنهم قد كانوا من قدماء العرب، الأولى أنهم رعاة وتسميتهم مشتقة من الشاة، وهي خاصية معروفة في العرب، أما الثانية فهي أنهم كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر قبل أن يستقروا، وهذه الخاصية أيضا مشهورة عند العرب الرحل والبدو.

1. 3- التعريف باللهجة الشاوية: إنّنا نتصور مدى أهمية دراسة اللهجات المحلية في الجزائر، ومنها اللهجة الشاوية التي يتكلم بها سكان منطقة بلزمة وغيرهم من سكان الأوراس؛ فقد أشار إليها العديد من الباحثين الأجانب لمعرفة أصولها بواسطة علم اللغة (اللسانيات)، ومن أبرزهم إميل ماسكوري (Emile Masqueray) الذي أهتم بدراسة

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

اللهجات المحلية الجزائرية وفروعها، وميّز الفرق الموجود بين أمازيغية القبائل وأمازيغية الأوراس، ورأى أن الاختلاف بين اللهجتين القبائلية والشاوية يكمن في النطق وبعض المفردات، واعتبر أنّ مسألة النطق هي الأكثر أهمية لأنها تمثل جزء كبيرا للتمييز بين المنطقتين كما أنّها تمس موضوعا إثنوغرافيا بالدرجة الأولى[14].

إذا نظرنا إلى واقع اللهجة الشاوية في منطقة بلزمة نجد أنّها شفوية تستعمل في مجالات الحياة اليومية، حيث لم تكن مكتوبة، وبالتالي فإنّ صمودها أمام اللغات الوافدة عليها مثل العربية والفرنسية كان ضئيلا نوعا ما لكونها شفهية وقابلة للتطور، وهو ما يجعل ألفاظها عرضة للتّلف، ولكنها رغم ذلك استطاعت أن تحافظ على تواجدها بسبب تلك الاستعمالات اليومية المختلفة عبر العصور.

تتميز اللهجة الشاوية كباقي اللهجات المحلية الأخرى بطابعها الشفوي، أي أنّها وسيلة تعامل بين السكان في صورتها الشفهية، وقد تكون من مجموعة اللغات الحامية مثل اللغة المصرية القديمة والقبطية والليبية (البربرية)، وهي لغات السكان الأصليين لشمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي[15].

تعبر اللهجة الشاوية عن لون لساني غير مقنّن؛ ما يعني أنّها ليست لونا جغرافيا فقط بل هي لون اجتماعي أيضا، وهذا ما أشار إليه ماسكوري أثناء مقارنتها مع اللهجة القبائلية حيث رأى أنّ الاختلاف بينهما يعود إلى اختلاف المجموعات الإثنية الموجودة في كل من المنطقتين، وهو ما نلاحظه إلى اليوم؛ فسكان الشاوية مثل سكان بلزمة إضافة إلي لهجتهم يستعملون العربية في حياتهم اليومية في مقابل ذلك نجد سكان القبائل إضافة إلى لهجتهم يستعملون الفرنسية في حياتهم اليومية[16].

إنّ ما يمكننا الإشارة إليه في الأخير أن اللهجة الشاوية في الجزائر اليوم موطنها هو بلاد الأوراس، وهذا بغض النظر إن كان السكان القاطنين في منطقة الأوراس يتكلمونها أو لا؛ فقد نجد الكثير من القاطنين فيها يؤكدون انتماءهم للشاوية ولكنهم لا يتكلمونها، مما يؤكد لنا أن مقياس النطق المتكلم بها ليس هو الأساس الذي نحدد به المجتمع الشاوي، وإنما مرتبط في الأصل بمنطقة الأوراس[17].

2- علاقة سكان منطقة بلزمة باللهجة الشاوية:

2.1- التعريف بالمنطقة: منطقة بلزمة منطقة تقع في غرب ولاية باتنة أي الأوراس الغربي، وهي منطقة جبلية ذات تضاريس وعرة ومعقدة، وتضم عدة قبائل عربية وشاوية تربط بينهما العقيدة الدينية واللغة والعادات والتقاليد، ويبلغ عددها حوالي 13 قبيلة، ونظرا لكونها همزة وصل بين بسكرة وباتنة وبين باتنة وسطيف وبين سطيف وبسكرة وبين بسكرة وقسنطينة كانت هي أول مهمة لمشروع الاحتلال الفرنسي للأوراس[18].

2.2- نظرة تاريخية على سكان بلزمة: اختلفت المصادر والراويات حول أصول سكان بلزمة القاطنين في الأوراس؛ فهناك من ينسبهم إلى البربر، وهناك من ينسبهم إلى العرب، وهذا أمر طبيعي معروف في الدراسات الخاصة بفترة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب بصفة عامة والأوراس بصفة خاصة؛ فقد ذكر اليعقوبي أن أغلب أهالي بلزمة من بني تميم ومواليهم المناهضين للسلطة الأغلبية في تلك الفترة[19].

يقول ابن حزم إن منطقة بلزمة كانت إحدى مناطق الأوراس الهامة المتنازع عليها بين الأغالبة والفاطميين خلال الصراع بين الدولتين على المنطقة، مما يعني أنّ سكانها خليط بين العرب وبربر الأوراس، وذكر أنها كانت قاعدة هامة لبني تميم الذين سكنوا فيها[20].

ويذكر كل من النويري وابن المراكشي أن منطقة بلزمة كانت قاعدة مستحدثة من قبل العرب في الأوراس، ومعظم أهاليها من العرب القيسية المستقرين غرب الأوراس منذ الفتح الإسلامي، وعرفت بقبائلها القوية؛ فقد كان رجالها يذلون قبائل كتامة، ويفرضون عليهم الضرائب والعشور[21].

يبدو لنا من خلال ما تشير إليه المصادر الإسلامية أن سكان بلزمة في الأوراس الغربي هم خليط عربي بربري شبيه تماما بذلك الخليط الجزائري العثماني المعروف باسم الكراغلة، وما يشير لذلك أن العرب القيسية المتواجدين في بلزمة لم يبقوا منفصلين عن سكان الأوراس بل حدث تزاوج بينهم وبين بربر الأوراس مما أنتج مجتمع منطقة بلزمة، لان العرب القيسية بعد قدومهم إلى بلزمة كانوا رجالا فاتحين لنشر الإسلام ولا نساء لهم؛ فكانت العادة أن يتزوج العربي من البربرية، وبالتالي كان مجتمع بلزمة مثلما كان الحال مع الكراغلة في العهد العثماني بالجزائر، أي أنه بلزمي الموقع والأرض وعربي إسلامي النسب وتكوني وطبائعي بربري.

2.3- محافظة سكان بلزمة على استمرارية اللهجة الشاوية: من المفارقات العجيبة في المجتمع الجزائري الحفاظ على اللهجات المحلية لعصور طويلة رغم كل ما تعرضت له من مضايقات عبر العصور، وهذا الأمر ينطبق على سكان بلزمة أيضا الذين مازالوا إلى يومنا هذا يحتفظون بلهجتهم الشاوية[22].

يرجع سر حفاظهم على لهجتهم بالدرجة الأولى إلى عيشهم على هامش الوافدين، وعدم اندماجهم معهم لكونهم يعيشون في منطقة جبلية كانت بالنسبة لهم كحاجز طبيعي ساعدهم على المحافظة عليها، وهذا ما كان يحميهم من الأفكار الأجنبية [23].

إنّ الميزة التي مكّنتهم من الحفاظ على استمرار لهجتهم طويلا تميزهم بحب الاستقلال، وعدم الخضوع لأي قوة غازية، وبقائهم متمسكين بمنطقتهم[24].

في حقيقة الأمر إن ما يميز مجتمع بلزمة ليس الحفاظ على لهجته فقط، وإنما عدم ذوبانه مع الغير فيما يخص عاداته وتقاليده وتراثه رغم تعرضه لمختلف الغزاة مثل الرومان والوندال والفرنسيين، وهذا عكس أقرانه من العرب والقبائل؛ فاليوم تطغى المصطلحات الفرنسية على العرب والقبائل في حواراتهم وكلامهم نتيجة الغزو الفرنسي وثقافته على عكس الشاوية الذين يخلو حوارهم وكلامهم تماما من الألفاظ والمصطلحات الفرنسية حتى عند النخبة المثقفة منهم الذين لا يستعملونها إلا للضرورة، أما البسطاء منهم فحتى العربية لا يستعملونها فيما بينهم إلا في الأمور الإدارية والرسمية والواجبات أو مع من لا يفهم لهجتهم، وهذه الخاصية من بين أهم أسباب استمرار هذه اللهجة داخل منطقة بلزمة.

لقد أكد لنا التاريخ أنّ بربر الأوراس (الشاوية) قد بقوا منذ الاحتلال الروماني إلى يومنا محافظين كل المحافظة على لهجتهم حتى قال عنهم المؤرخ الفرنسي الكبير بواسيار (boasiyar): **"إنّه لم يبق في أفكارهم ولا في عوائدهم ولا في أخلاقهم ولا في حياتهم أي تأثير قرطاجي أو روماني، إنّما لم يبق إلا البربري الصرف"**، ولنختم حديثنا في هذا العنصر بشهادة أخرى من نفس المؤرخ بقوله: **"إنّما الأمر الخارق للعادة أنهم من الشعوب التي استطاعت أن تحتفظ بطباعها الأولى ومميزاتها الخاصة، وأننا لنراه اليوم على نفس الطريقة التي رآه الكتاب الأقدمون، وأنه ليعيش اليوم كما كان**

يعيش تقريبا أيام يوغرطة، ولا نقول إنه قد حافظ فقط على كيانه وسط الأقوام التي عاشت معه بل إنّه قد ابتلعها وأسدل عليه رداءه"[25].

2.4- قواعد اللهجة الشاوية المستعملة من قبل سكان بلزمة: رغم أنّ اللهجة الشاوية تستعمل بالنطق فقط إلا أنّ لها عدة قواعد وحالات أثناء استخدامها حيث يتم الكلام فيها بتمثيله بعلامات يتبعها صوت معين تعبر عن ذلك الشيء، والنطق يكون له معنى، وهذا ما جعل للشاوية سراجا خاصا بها لا يفهمه إلا أبناء بيئتها[26].

ويمكننا اختصار القواعد الخاصة بها في منطقة بلزمة إلي قسمين هما:

أ- صياغة التعريف المفرد: من المعروف في لغتنا العربية توجد أداة واحدة للتعريف وهي **"ال"**، وهي تستعمل مع كل الحالات وكل الأجناس، أما في اللهجات الأمازيغية وفروعها مثل اللهجة الشاوية فلها أداة تعريف للمذكر وأداة تعريف للمؤنث، ونحن في هذا المقام استحضرنا اللغة العربية ليس للمقارنة، وإنما لتوصيل الفكرة فقط لأن المقارنة بين لغة ولهجة ليس من المنطق؛ فللهجة الشاوية أداة للمذكر وهي حرف **"أ"** الذي يوضع كسابقة في بداية الكلمة، أما أداة التأنيث فهي حرف **"ث"** التي تستعمل كسابقة ولاحقة للكلمة[27].

وهذه بعض الأمثلة لتوضيح الفكرة صياغة التعريف المفرد في اللهجة الشاوية:

- **أداة المذكر**: الرجل = أرياز، الطفل = أعطوط، القبر = أقبور.
- **أداة التأنيث**: المرأة = ثامتويث، الطفلة = ثاهيويث، مقبرة = ثمقبرث[28].

من مميزات اللهجة الشاوية من حيث النطق أنها تمزج بين الأسماء والأفعال؛ ففي بعض الأحيان تأتي الأسماء المؤنثة من اللغة العربية والأسماء المذكرة من اللهجة الشاوية أو العكس، وغالبا ما يتم تقديم كلمة أو نغمة واحدة النطق كما رأينا في المثال السابق، حيث ذكرنا في أداة المذكر والمؤنث كلمة **القبر والمقبرة**، والتي تنطق بالشاوية **أقبور وثمقبرث**، أي أنها مستمدة من العربية بنطق الشاوية[29].

ب- صيغة الجمع: وهي نفس صيغة الجمع في اللهجة القبائلية، وإن كان فيها القليل من التغيير من ناحية النطق حيث تتحول أداة التعريف للمذكر في الجمع في أغلب الأحيان إلى حرف **"إ"** الذي يوضع كسابقة في بداية الكلمة والحرف **"ن"** كلاحقة في أخر الكلمة، وفي حالة أداة التعريف المؤنثة تتحول أداة التعريف المؤنثة في الجمع في أغلب الأحيان إلى

حرفين هما **"ثي"** كسابقة في بداية الكلمة، والحرفين **"ين"** كلاحقة في أخر الكلمة، وهذه أمثلة لتوضيح فكرة صيغة الجمع:

- **أداة الجمع للمذكر**: الرجال = إريازن، الأطفال = إعطوطن.
- **أداة الجمع للمؤنث**: النساء = ثيمطوين، بنات = ثيهيوين[30].

ما يمكن أن نقوله في الغالب هو أن الحرف **"أ"** أو **"إ"** يستخدم كأداة للتعريف للمذكر في بداية الكلمة سواء في حالة المفرد أو الجمع مع إضافة حرف **"ن"** في آخر الكلمة في حالة الجمع، أما الحرف **"ث"** فيستخدم في بداية الكلمة كأداة للتعريف للمؤنث في حالة المفرد فقط، أما في حالة الجمع فيستخدم الحرفين "ثي" في بداية الكلمة كأداة للتعريف بالمؤنث في حالة الجمع مع إضافة حرفي "ين" في آخر الكلمة بطبيعة الحال في حالة الجمع[31].

3- واقع اللهجة الشاوية في المجتمع الأوراسي: عرفت اللهجة الشاوية في الجزائر عدة قضايا أحدثت انتقادات واعتراضات منها:

1.3- قضية أصل الشاوية (الأوراس): لقد سبق أن ذكرنا أن تسمية الشاوية تشير إلى خصوصيات الحياة الرعوية التي كان سكان الأوراس يمارسونها منذ القدم، إلا أن بعض الاستعمالات الحديثة للتسمية الشاوية خاصة إبان فترة الاستعمار الفرنسي تحمل في طياتها دلالات سلبية هي أقرب إلى احتقار سكانها، ومفادها أن قبائل الأوراس همجية وبدائية ترفض الاندماج، وأن ثوراتها المتعاقبة عبر تاريخها ما هي إلا دليل نعتها الدائم.

ويؤكد ذلك ما جاء في بعض التقارير الفرنسية أثناء دخولهم الأوراس وإنشاء مركز عسكري فيه، حيث تعرضوا للهجوم من قبل قبائل منطقة بلزمة[32]، وقد وصف هذا الحدث الجنرال دوق دومال (Duc D'aumale) في تقريره بقوله: **"تجمع حوالي ألف أو ألفان من المشاة وما بين 500 و600 فارس في سهل لامبيز، وهاجموا الجزء الأيسر من المعسكر، كانوا يتدافعون جماعات ومقبلين على الموت لا يحد حماسهم شيء"**[33].

كما ورد أيضا في إحدى التقارير بأن إخضاع سكان الشاوية سيبقى دون معنى إن لم يتم القضاء على سكان منطقة بلزمة وعلى رأسها أولاد سلطان، حيث أشار أحد الضباط في تقريره قائلا: **"إنني متيقن من أن مركز التمرد ضدنا يكمن في أولاد سلطان؛ فعندهم وجد أحمد باي المأوى، وهم الذين اعترضوا سبيل الجنرال سيلا (Sillegue)**

بالسلاح عندما كان متوجها ناحية الجنوب، لهذا اخترتهم ليكونوا المثل والعبرة في المنطقة، وإننا حين نقضي عليهم نضمن النجاح للعمليات اللاحقة، وندعم سيطرتنا على المنطقة"[34].

هذه التقارير توضح لنا الهدف من بعض الاستعمالات الحديثة للتسمية الشاوية، وأكثر من ذلك فقد حاول البعض من ذوي العقول غير الناضجة الدخول في متاهة التمييز بين فئات المواطنين الناطقين بها والناطقين بالعربية، وكان للاستعمار الفرنسي يد وراء هذه اللعبة الخبيثة، والتي راح البعض يطرحونها، وهم يتساءلون عن أصول الشاوية وعن منشئهم، ولكن التاريخ وحده كفيل بتقديم الإجابات الشافية لتمييز الحقيقة من الأباطيل[35].

لم تطرح مسألة الأصول في الفترة القديمة والوسيطة، ولم تكن تشغل بال الباحثين والمفكرين حتى أواخر القرن الثامن عشر، ولكن مع بداية ظهور القوميات في منتصف القرن التاسع عشر طرحت هذه المسألة وبإلحاح شديد، وبخاصة عند الأقليات التي شعرت دون غيرها أنّها مهدّدة في كيانها ووجودها؛ فراحت تبحث عن خصوصياتها لصونها والحفاظ عليها من الزوال، اللسانية منها والاجتماعية الثقافية[36].

وسكان الشاوية شأنهم شأن الكثير من سكان العالم يعانون من هذه المشكلة، حيث يجدون أنفسهم أمام كم من الفرضيات والاحتمالات المتضاربة وحتى المتناقضة بشأن أصولهم، مما جعل إبداء الرأي من الصعوبة بمكان، وبخاصة أمام المواقف المسبقة أحيانا والمُسيّسة في أحيان كثيرة، مما جعل كل رأي أو موقف يحتسب عليه إذا كان يخالف الموقف الرسمي أو يتعارض معه، ولكن هذا يعنى ألا يحول دون إبداء الرأي، لأنّ في ذلك خيانة للعلم والتاريخ وانتهازية سياسية، ومن المفروض ألّا تكون من سمات الباحث الذي يجب أن يبقى هدفه الأسمى دائما البحث عن الحقيقة التاريخية حتى يتمكن من الاقتراب منها قدر الإمكان، ولذلك سنحاول تناول هذه القضية من خلال الاعتماد على ما جاء في بعض النصوص وتحليلها[37].

لتوضيح ذلك ينبغي الوقوف قليلا لاستعراض بعض أراء المؤرخين العرب والأجانب بخصوص الشاوية، وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون أنه كان بجبال الأوراس أمة عظيمة من قبائل تعرف بـ"زناتة وهوارة، ويقول عنها زناتة بالمغرب كانوا شاوية[38].

وذكر الإدريسي أن قبيلتي زناتة وهوارة من أولى القبائل التي استقرت بالأوراس، ويطلق عليها بني جانة، وعندما نتطرق إلى بني جانة تتم الإشارة إلى موقع سكنهم بجبال الأوراس، وبالتالي فإنّ أصل قبيلتي زناتة وهوارة يعود إلي بني جانة، ويشير المقريزي إلى أنّ زناتة في المغرب، ويسميهم الشاوية، ويقول الإدريسي إنهما من ابناء جانة، وبلغة البربر تترجم ابن جانة بـ"وجانة"، وعليه فإنّ بني أوجانة مرادف لزناتة، وهذا ما يبين أن المصادر العربية تثبت أن أصل الشاوية يرجع إلى قبيلة بربرية هي زناتة، وتطرق المؤرخ الإسباني مارمول(Marmol) إلى قبيلتي زناتة وهوارة واعتبرهما من القبائل الشاوية[39].

أما مؤرخو الغرب فقد ذكروا أن قبائل الأوراس (الشاوية) ينتمون إلى قبائل القوط، كما اعتبرها البعض من أصل جرماني، ومن هؤلاء المؤرخ الانجليزي توماس شو (Thomas Shaw) الذي وصف القبائل الشاوية بالأوراس عامة سنة 1780م بقوله: **"إن لهم مظهرا وسحنة مختلفة عن جيرانهم، ولم تكن بشرتهم سمراء بل بيضاء مائلة للون الوردي، وشعرهم يميل للاصفرار الداكن، وليس أسودا مثل القبائل"**، ودفعه هذا التباين في الملامح إلى الاعتقاد بأنهم ينحدرون من القبيلة التي ذكرها بروكون (Procon) أي أنهم حفدة الوندال[40].

في حقيقة الأمر لم تكن هناك أي علاقة بين سكان الشاوية والرومان أو الوندال، ولم يكن هناك أي اندماج ولو جزئي معهم، وما يدل على ذلك أنه لم يحدث أي تلاحم بين الشاوية الأوراس والفرنسيين طوال فترة الاستعمار الفرنسي، وما يشير إلى ذلك تلك الأطلال والحصون والثكنات الموجودة في معظم مناطق الأوراس، وهي شاهدة أن هذه المناطق كلفت الرومان والبيزنطيين وحتى الفرنسيين حشد جيوش جرارة للتغلب على المقاومات التي كانت في منطقة الأوراس، التي صارت المقاومة والصمود تقليدا راسخا فيها منذ عهد يوغرطة إلى عهد مصطفي بن بولعيد[41].

2.3 - قضية إدماج اللهجة الشاوية في اللغة العربية: يراهن المعادون للهجة الشاوية أن إدماجها داخل اللغة العربية باستعمال مصطلحات العربية بصبغة شاوية في نظرهم سيؤدي لا محالة إلى انقراضها أو بالأصح ذوبانها، وبالتالي زوالها، ولكن لم يدركوا أن الشاوية لم يتخلوا في يوم من الأيام عن لهجتهم رغم تعرضها للمنافسة عبر الأجيال بداية من الرومان والفينيقيين والبيزنطيين والوندال والعرب والفرنسيين، ولا زالت موجودة، ولو

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

تخلوا عنها لما وصلتنا اليوم، أما اختيارهم لتعلم العربية فهذا ليس من أجل التخلي عن لهجتهم، وإنما كان نتيجة لاعتناقهم الإسلام لأنّ الفهم الجيد للدين الإسلامي يمر حتما عبر فهم لغة هذا الدين، وهذا ينطبق تماما علينا نحن كباحثين في التاريخ القديم أو المعاصر حينما اندفعنا لتعلم اللغة الفرنسية من أجل الفهم الجيد لتاريخ كفاح وطننا ضد المستعمر، لكون تاريخنا الوطني كتب بأقلام فرنسية، ولذلك فإنّ فهم تاريخ وطننا يجب أن يمر أولا عبر فهم ومعرفة لغة المستعمر(42).

إنّ المشكلة التي دفعت الشاوية إلى استعمال بعض الكلمات العربية يعود لكونها تختلف في النطق مع اللهجات الأخرى مثل القبائلية وغيرها من اللهجات الأمازيغية، وهذا ما جعلها محلّ الشكوك وعدم المصداقية، دون التساؤل أو البحث عن الأسباب التي أدت إلى دمجها لبعض المصطلحات العربية في استعمالاتها مع المحافظة على نطقها نطقا شاويا محضا، إلا أنّ إدخال المصطلحات العربية في اللهجة الشاوية جعل البعض يراه نقمة على هذه اللهجة، بينما هو في حقيقة الأمر إشارة تدل على الثراء اللغوي للمجتمع الجزائري(43).

لقد أشارت الباحثة ماتيا (Mathea) بخصوص قضية إدخال الكلمات العربية في اللهجة الشاوية من خلال دمجها مع احتفاظهم بخصوصياتها النطقية بقولها: إنّ الشاوية مجتمع مزدوج اللسان يتكلم الشاوية والعربية معا؛ فالعربية تسهل له التعامل مع سكان المناطق الأخرى وكذا بعض أعوان الإدارة، أما الشاوية فإنه يتكلم بها فيما بينهم وداخل أسرهم(44).

لذلك نجد بعض الكلمات العربية تنطبق على أفكار يتلقاها الشاوية من العربية، ولكن في بعض الحالات فقط، وتستعمل بطريقة التلصيق حتى يبقى نطقها بالشاوية، وقد أشرنا إلى ذلك في عنصر قواعد اللهجة الشاوية المستعملة من قبل سكان منطقة بلزمة. المثل: **المقبرة** = **ثمقبرث** في المؤنث، أما المذكر: **القبر** = **أقبور**(45).

رغم تسرب العربية داخل الشاوية إلا أنّنا لا نجد إلا حوالي 38% من الكلمات العربية في اللهجة المتداولة، ولكنها احتفظت بصبغة النطقية الشاوية من خلال صياغتها على طريقتها، وبالتالي بقيت تحافظ علي عبقريتها الأصلية وتكوينها العضوي رغم تلك التحويرات الثانوية(46).

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

خـاتمــة:

- ما يمكننا قوله من كل ما سبق أن لعلم اللهجات اليوم مكانا في الدراسات اللغوية العربية بانصراف عدة باحثين إلى دراستها، وقد ساعدت دراساتهم في معرفة أن اللهجات واقعا لغويا لا يمكن إزالته ومحوه أو التغاضي عنه.

- رغم الغموض والنقص الذي يكتنف اللهجة الشاوية في منطقة بلزمة إلا أنها تعطينا معلومات عن سيرورة دوامها واستمراريتها داخل مجتمع بلزمة باعتبارها الوسيلة الاتصالية الأولى المستعملة في الأسرة، والتي يتعلمها الأبناء منذ طفولتهم، وهذا ما يجعلهم يمارسونها ويتداولونها فيما بينهم، وبالتالي الحفاظ على استمراريتها لدى الأجيال بصورة شفوية.

- إن سر حفاظ سكان بلزمة على لهجتهم يرجع لعدة عوامل منها البيئة الطبيعية لكونهم يعيشون في منطقة جبلية كانت بالنسبة لهم كحاجز طبيعي ساعدهم في الحفاظ على استمراريتها وعدم ذوبانها.

- إن ما يعيب اللهجة الشاوية لدي سكان بلزمة وغيرهم من سكان الأوراس هو أنّها لا تملك حروفا رغم أن لها أصوات ناطقة، مما يعني أنها منطوقة وليست مكتوبة، ولكن رغم ذلك فهي اللسان الناطق لسكانها باعتبارها تراث وإرث لغوي خاص بهم.

- إن تسمية اللهجة الشاوية استمدت من الحياة الاقتصادية التي كان يعيشها سكان الأوراس، وشهرتهم بممارسة رعي الغنم؛ فقد سموا بالشاوية نسبة إلي الشاة.

- رغم أن اللهجة الشاوية مصطلح حديث في الدراسات اللغوية إلا أنه ظاهرة لسانية معروفة مند القديم، ومازالت إلي يومنا تؤدي وظيفتها في المجتمع.

- يتضح لنا أن الشاوية لا يشكلون سلالة بالمعنى المتعارف عليه، ولكنهم يمثلون ظاهرة لغوية منطوقة وليست مكتوبة، ويميزها لسان خاص يبرهن على قدم تاريخها عبر الأزمنة.

الهوامش:

1- مرتاض عبد الجليل، مقارنات أولية في علم اللهجات، دار الغرب، وهران، الجزائر، 2002، ص107----**2**- أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ط9، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة ، 1995، ص 16----**3**- رمضان عبد النواب، فصول في فقه اللغة، ط2،مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ، 1983، ص 72----**4**- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ط1، دار الحبل بيروت، 1989، ص85

5- البسيوني عبد العظيم ، من معالم العربية ولهجاتها، ط1، دار والى الإسلامية، مصر، 1998، ص 208

6- إ.كاربت، أبحاث حول أصل وهجرات أهم القبائل في إفريقيا الشمالية والجزائر خاصة، ترجمة حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة، الجزائر، 2016، ج5، ص 126----**7**- مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، 1984، ج1، ص 138

8- ابن خلدون، مقدمة، تحقيق وتعليق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004 ج1 ص 246

9- بوزياني دراجي، القبائل الامازيغية أدوراها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1 ص10

10- الوزان الحسن بن محمد، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي محمد و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج1 ص 66----**11**- زوزو عبد الحميد، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي 1837-1939، ط3، دار هومه، الجزائر، 2011، ج1 صص48، 49 ----**12**- سعيدوني ناصر الدين، مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، العدد 1979،07 ، ص 14

13- عدي هواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830-1960، ترجمة جوزيف عبد الله، ط1، دار الحداثة ، 1983، ص، ص 15، 19

14- Emile Masqueray, La Djebel Chechar, Revue Africaine, Vol.22, Bulletin de la Société de géographie d'Alger, 1878, p.270.

15- وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، دار نهضة، 2000، ص202----**(16)** - غريبة عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونياالية 1840-1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لحاج لخضر، باتنة، 2010، ص26، 27

17- Mathéa Gaudry, La Femme Chaouia de l'Aurès, Etude de Sociologie Berbere, Ed.Chibah- Awal, Algérie, 1989, pp. 26-32.

18- إنتاج جمعية أول نوفمبر: ثورة الأوراس 1916، باتنة، 1986، ص 32----**19**- اليعقوبي، صفة العرب، طبعة لندن، دس، ص 12 إنتاج جمعية أول نوفمبر: ثورة الأوراس 1916، باتنة، 1986، ص 32----**20**- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ترجمة عبد السلام هارون، ط3، دار المعارف، مصر، 1971، ص 199----**21**- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ترجمة: سكولان و لبروفنسال، دار الثقافة، بيروت 1982، ج1،ص 123

22- A.Joly , le chauiya des ouled Sellem , Rvue africaine, Vol. 55, Alger, 1911, p.415.

23- René Basset, Notes Sur le chaouia de la province de constantine, Journal Asiatique E mest, leroux lmprimerie Nationale, Editeur rue Bonaparte, 1896, p.361.

24- سعيدوني ناصر الدين، الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، مجلة الأصالة، العدد 1978،60/61 ، جامعة الجزائر، ص 118.

25- توفيق المدني أحمد، أوراس محطم الاستعمار الروماني، مجلة الأصالة، العدد 1978،60/61 ، صص 16-23.

26- A.Joly , Op.Cit, p.422.

27 - إ.كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840-1842، ترجمة حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة الجزائر، 2016،ج3، ص43.

28- A.Joly, Vacabulaire de chouiya des ouled Sellem, Revue Africaine, Vol. 56, Alger, 1912, pp. 232-252.-----**29**- A.Joly, Op.Cit, p.433.

30- إ.كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر، المصدر السابق، ص 45----**(31)**- المصدر نفسه، ص 49

32- **قبائل منطقة بلزمة**: أولاد سلطان، أولاد بوعون، أولاد سلام، أولاد فاطمة، أولاد حيدوسة، أولاد على بن صابور، أولاد مهنة، أولاد بني يفرن، أولاد شليح، أولاد لخضر حلفاوي ، أولاد سيدي عبد الرحمان، أولاد على بن فروج، أولاد سيدي الحاج بن عامر. **أنظر**، مختار هواري، نماذج من القمع الإداري الفرنسي تجاه بعض القبائل في الجنوب القسنطيني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، 2017 صص25، 26

33- زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص120----**(34)**- المرجع نفسه، ص122----**(35)** - المرجع نفسه، صص49، 50

36- أرامبورغ كميل، نشأة البشرية، ترجمة خليل الحر، منشورات العربية، دس، ص 121----**37**- حارش الهادي محمد، دراسات في تاريخ الجزائر الماضي والحاضر، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 12----38- ابن خلدون، العبر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ج6، ص 137----**39**- إ.كاريت، أبحاث حول أصل وهجرات أهم القبائل في أفريقيا الشمالية والجزائر خاصة، المصدر السابق ، ص 125----**40**- زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص 56----**41**- المرجع نفسه، ص57----**42**- حارش الهادي محمد، المرجع السابق، ص43----**43**- المرجع نفسه، ص 31

44 - Mathéa Gaudry, Op.Cit, p.32---- **45** - A.Joly, Op, Cit , p 433

46- إ.كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840-1842 ، ص14.